

د. رفعت السعيد

العلمانية

بين الإسلام والتأسلم

كتاب الأهالى
رقم ٦٥ / مارس ٢٠٠١ م

الطبعة الثالثة

رئيس الحزب : خالد محيى الدين

رئيس مجلس الادارة : د. رفعت السعيد

الادارة والتحرير : ١ ش كريم الدولة- ميدان طلعت حرب- القاهرة ج.م.ع.

ترسل جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

الاعلانات : يتفق بشأنها مع الادارة.

الاعداد السابقة : توجد نسخ محدودة من الأعداد السابقة من السلسلة ترسل لمن يطلبها خارج القاهرة أو خارج جمهورية مصر العربية بالبريد المسجل ويحسب سعر الكتاب على أساس أن الجنيه يعادل (دولار) أمريكيا ويضاف جنيه مصرى داخل مصر على ثمن الكتاب نفقات البريد كما يضاف (دولار) واحد خارجها إلى الثمن وتحول أثمان الكتاب بحوالة بريدية باسم الأهالى.

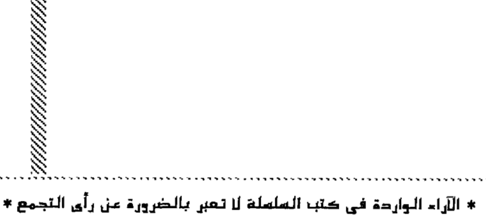
كتاب الأهالى سلسلة كتب فصلية تصدرها مؤسسة الأهالى- حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى- مصر.

كتـــاب الأهالـــــــى

العقل . الاستنارة. الحرية

رئيس التحرير: أمينة شفيق

مدير التحرير: عادل الضوى



يقبل كتاب الاهالى نشر جميع الكتب المؤلفة والمترجمة التى يرغب أصحابها فى نشرها ما دام تخدم الهدف من إصداره ويقبل التبرعات والهبات التى يقدمها المهتمون بنشر الثقافة والراغبون فى تحمل جزء من نفقات إصداره بهدف تخفيض سعر بيعه للجماهير ويشير إلى ذلك إذا طلب صاحب الشأن.

كتــاب الأهــالى

العلمانية..
بين الإسلام والتأسلم

سكرتير التحرير : **عادل بكر**

بوحدة أجهزة الماكينتوش بمؤسسة الأهالى / ١ شارع كريم
الدولة - القاهرة / ت : ٥٧٩١٦٢٧ - ٥٧٩١٦٢٨ - ٥٧٩٩١٦٢٩

كتاب **الأهالى** رقم ٦٥



د. رفعت السعيد

العلمانية

بين الإسلام والتأسلم

إلى الجميع...

تعالوا نلملم أطراف شجاعتنا ونوحد صفوفنا،

لنواجه «التتار الجدد»..

- عن السبب:

يحفزنى إلى كتابة هذا الموضوع ليس مجرد الاحساس بضرورته، ولا مجرد الرغبة فى مواجهة غباوات عديدة تحيط به فتجعله ملتبساً، وإنما ايضا الرغبة فى فتح حوار واضح وصريح خاصة وأن البعض يخشى الاقتراب منه.. هلعاً وخوفاً من تهم جوفاء تحيط به فتحبط القائمين عليه وتخيفهم.. إلى درجة أن واحداً من كبار المفكرين علق علي محاضرة لى حول ذات الموضوع مؤيداً كل حرف مما قلت، فقط.. طلب أن أترك جانبا كلمه «العلمانية» لأن خصومها نجحوا فى تشويهها وجعلها مرادفه لكلمه إلحاد. وطلب أن أتركها إلى كلمات أخرى: «عقلانيه» أو «ديمقراطيه» أو «ليبراليه» بينما هى تختلف عن كل هذه الالفاظ. لكن إجابتى كانت لو اخترنا أى لفظ فسوف يسعون إلى تشويهه طالما نجبن ونخاف ونتراجع

فلا قضى حاجته طالبُ

فؤاده يخفق من رُعبه.

ولماذ نخاف ونحن - فيما أعتقد- الاقرب إلى صحيح الدين، وإلى العقل وإلى الحق.. وأيضا المصلحه، أقصد مصلحه المجموع.

فلنقل ما لدينا ومن كان لديه خيراً منه فليأت به كما علمنا الامام ابو حنيفه: وكما علمنا ايضا الشيخ رفاعه الطهطاوى إذ قال «لو أننى غيرت آرائى للحياء أو غيره لكان ذلك محض موالسه».

القاهرة فى ٣ مارس ٢٠٠٠

---

* القيت فى نادي الخريجين بالبحرين فى : ٩/ ٥/ ٢٠٠٠

- عن الكلمات وتعريفها:

★ **العلمانية**: بالفرنسية «Laique» وأصلها الرومانى «لا يبكوس» أى الذى ينتمى للشعب، هو ابن الشعب غير المتعلم، لتمييزه عن رجل الدين clerk والذى كان يعتبر المتعلم الوحيد [كما كان الحال عند الكهنه فى العصور الفرعونيه] وكما إعتدنا ان نطلق لفظ «عالم» على شيوخ الازهر وحدهم. ويستخدم هذا اللفظ في مجال التعليم منذ الثوره الفرنسيه لتمييز التعليم غير الدينى عما عداه.

وهى بالانجليزية Secularism وأصلها اليونانى Seculum ومعناها الحرفى: الزمنيه أو الدنيويه اى ماله علاقه بالزمن والدنيا التى نعيشها . واستخدمت لاحقا بمعنى فصل الدين عن الدولة.

وبهذا يمكن القول ان للعلمانيه وجهين: العلم والعقل كأساس

للتقدم الانسانى، والوجه الآخر هو القول بفصل الدين عن الدوله، ومنه فصل العمليه التعليميه الحديثه عن الدين.

وأول من استخدام لفظ «علمانيه» و«علمانى» فى اللغه العربيه هو اللبنانى الياس بقطر[١٨٢٨] فى قاموسه «المعجم الفرنسى - العربى». ثم أقر مجمع اللغه العربيه [القاهرة] هذه التسميه فى عام [١٩٥٠] وأضافها إلى المعجم الوسيط.

لكن خصوم «العلمانيه» عندنا ينطقونها بفتح العين بهدف القول - كما يزعمون- انها دعوة لعزل القيم الروحيه والاخلاقيه والمعرفيه عن حياة الناس ودنياهم [نقول: فصل الدين عن الدوله، فيحرفونها عن عمد إلى فصل الدين عن الحياه . وهذه غير تلك] ومن ثم فهم يعتبرونها دعوه دنيويه معاديه للدين [يحلو لجريده الشعب المصريه ان تهاجمنى فتصفنى بأننى دنيوى]

وهم بهذا يقصدون عدم إستخدام «عِلمانيه» بكسر العين وهى المستمده من كلمه «عِلم».

ولكن سواء فتحنا العين أم كسرناها فاننا نقول بالاثنين، بالسعى لتغيير العَالم [بفتح العين] إلي الافضل عبر إستخدام آليات العقل والعِلم [بكسر العين]. فنريحهم ونريح أنفسنا من

جدل سقيم.

★ **الميتافيزيقيه:** هى رؤيه تعتبر أن الاشياء معطاه لمره واحده وإلى الابد. وهى نتاج لعلم الطبيعه القديم الذى كان يدرس الاشياء الميته والحيه كأشياء مصنوعه بصورة نهائيه وهى غير قابله لأن يطرأ عليها أى تغيير أو أى تطور[١]

★ **العقل:** عندما نقول بإعمال العقل فإننا لا نعنى إعمال العقل العام المجرد، وإنما عقلنا نحن، عقلنا الخاص بنا، المتعامل مع تاريخنا وتراثنا وتقاليدنا نحن، ثم نربط بينهما توافقًا أو تناقضا مع الظواهر الاخرى في العالم. والعقل العام لايقدم لنا سوى آليات مجرده لن تثمر بالضرورة ثمراً حقيقياً إلا إذا إستخدمنا معها عقلنا «الخاص» لفهم معطيات واقعنا «الخاص».

وإعمال العقل يعنى ان يكون العقل أساس فهمنا للظواهر الكونيه والمحليه، الماضيه والآنية، وألا يكون عليه من قيد سوى العقل ذاته.

---

(١) فريدريك انجلز – فيورباخ ونهاية الفلسفة التقليديه – ص٦٢.

وإغمال العقل قد يكون السبيل الأقوم لفهم أعمق للدين. فالشيخ محمد عبده إستخدم العقل استخداما مجرداً لفهم وإقرار وحدانيه الله[٢]، والمصريون يكررون دوما «ربنا عرفوه بالعقل».

★ العلم - المعرفة:

ويحاول البعض عندنا ان يخلط بين المعرفة أي التعرف المبسط للأشياء وبين العلم الذى يستخدم العقل فى« إدراك الظواهر وتحليلها وإستنباط قوانين وآليات لفهم هذه الظواهر وإستخدامها وتطويرها، وخلق ترابط متشابك بينها.

ويأتى هذا الخلط من فهم مسطح لظواهر دينيه أتت على سبيل المعجزات [والمعجزات لاتكون كذلك إذا تكررت عند البشر أجمعين] ففى المسيحيه نقرأ فى الانجيل «كيف هذا يعرف الكتب ولم يتعلم»[٣] وفي الاسلام تأتى معجزة القرآن من تنزيله على «النبى الامى».

---

(٢) الامام محمد عبده - رساله التوحيد.

(٣) إنجيل يوحنا - ٧ -١٦.

وبدلا من الايمان بالمعجزات الالهيه، تم إحتقار العلم باعتبار انه ليس ضروريا كمصدر للمعرفه.

فهل نكرر ان المعجزه لا تتكرر فأن تكررت لم تعد معجزه؟.

وهل نؤكد ان المعرفة الناجمه عن مجرد المشاهده المسطحه لا تثمر أيه فهم عقلى او علمى للظواهر

★ **التأسلم:**

وهى إشتقاق لغوى لا علاقه له بالقبول أو التهجم نحاول ان نميز بينه وبين إستخدامات نعتقد أنها خاطئه. فلفظ «أصوليون» يعنى العودة إلى «الأصل». والاصل وهو الدين.. مقدس. و «التطرف» يعنى ان تصل بالشئ إلى مداه أو نهايته. فطرف الشئ آخره. وطرف الرجل آباؤه الاولون، فهل نكون ضد من يصل بالدين إلى كل ما فيه؟ أو الى حقائقه الاولى؟. وتعبير

« التيار الاسلامى» خاطئ ايضا فالاسلامى هنا صفه. والصفه لغة هى تمييز للشئ عما عداه. فإن كان تيارهم هو «الاسلامى» فماذا نكون نحن؟

ألسنا بكل هذه التسميات الخاطئه نمنحهم ما لا يستحقون،

بل ونمتدح ما يقولون وما يفعلون؟ بل ونعطيهم الحق فى إن يلبسوا أنفسهم وفكرهم وما يقولون وما يفعلون ثيابا إسلاميه لا يستحقونها.

اما كلمة «تأسلم» فتأتى لغه من إضافة التاء إلى أول الفعل «أسلم».

فالتاء إن أتت فى آخر الفعل كانت ضميراً، وإن أتت فى أوله صارت علامة. كأن تقول تأرجح اى تشبه بفعل الارجوحه لكنه ليس أرجوحه. وتأمرك اى تشبه بالأمريكيين دون ان يكون أمريكيا حقاً.

فالمتأسلمون يدّعون أنهم يمتلكون صحيح الاسلام، بل ويمتلكونه وحدهم، فى حين أن ما يقولونه وما يفعلونه لا علاقه له بصحيح الاسلام.

التأسلم.. رؤية ثلاثية الابعاد..

فهى ترى صورة وحيده لما يجب ان يكون عليه العالم كله .. الان ومستقبلا، وهى ما كان عليه المسلمون فى سنوات الاسلام الاولى.. يقول البرت حورانى «اذا كان التاريخ هو ما تعيه ذاكره الانسان عن الماضى، فإن هذا الماضى يظل بالنسبة للبعض

أملا يتعين الارتداد إليه، وبالنسبه للبعض من المسلمين سيظل العصر الاسلامى الاول صوره وحيده لما يجب ان يكون عليه العالم»[٤]

ويجسد البعض هذه الرؤيه شعراً:

وكل خير فى إتباع من سلف

وكل شر فى إتباع من خلف[٥]

والتأسلم ايضا رؤيه تقرأ الآيات والاحاديث قراءة نصية، ولنا فى ذلك تفصيل مفصل سيأتى فى المتن، فقط نريد أن نشير إلي أن إيه قراءه نصيه لا تعطى للمعنى حقه ولا حقيقته فالكلمات تمتلك معانٍ مختلفه لا يمكن إداركها إلا إذا عدنا إلى ملابسات إستخدامها وأسباب هذا الاستخدام .. ولنأخذ أمثله من اللغه.

الفعل «سار».. هل يتساوى لغويا ومعرفيا قولنا «سار الرجل» مع قولنا «سار القطار»

وكلمه «تعالى» يمكن أن تستخدم كمحاولة للذم والاستنكار «إنه يتعالى علي الناس» بمعنى يستكبر. أوتستخدم للتقديس

4- Arabic Thaught in The Libral age - p.8

(٥) السيوطى - جوهرة التوحيد.

«سبحانه وتعالى».

وللترويح نذكر بيتا من شعر يقول

نحن قوم تذيبنا الأعين النُجلُ

على أننا نذيب الحديدا

وطبعا كلمه «تذيب» تستخدم بمعنيين الاول مجازى والثانى فعلى .

فكيف يمكن ان نفهم كلمة معزولة عن سياقها ؟

وكيف يمكن ان نفهم آيه معزوله عن أسباب النزول؟

كمثال «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلنكم شعوباً وقبائل لتعارفوا..» فالناس هنا تعنى مطلق البشر. بينما فى الآيه الكريمه الآتيه نجد معنى آخر هو البعض من الناس « والذين اذا قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فإخشوهم» ناس يقولون لناس آخرين ان ناساً ثالثين قد جمعوا لهم.

.. وسوف نرى فى المتن كيف ان هذا الفهم النصي المتأسلم قد قاد أصحابه إلى مواطئ الخطأ.

والرؤية الثالثه.. هى أسلمه السياسه. أى إضفاء ستار دينى

على رؤيه سياسيه.

يقـول ابن المقـفع « ان الدين يسلم بالايمان والرأى يثـبت بالخصومه، فمن جعل الدين خصومه فقد جعل الدين رأيا ، ومن جعل الرأى دينا فقد جعل رأيه شريعة».

والدين المطلق الصحه يجل عن أن يكون محلا لخلافات الساسه، وأداة فى صراعاتهم. وسوف نتحدث عن ذلك تفصيلا فى المتن وسنرى كيف إستخدم الدين علي الوجهين. فقط نضرب هنا مثالا أو مثالين..

معاويه أراد ان يمنح شراهته لنيل السلطه غطاءً دينياً فقال «والله ما أردتها لنفسى لولا أنى سمعت رسول الله يقول: يا معاويه إن حكمت فأعدل» وإذ جاء العباسيون علي رماح فارسيه أرادوا ان يضفوا صفة دينية على فرض«فارسيتهم» على السلطه. تلك الفارسية التى إستخدمت لغتهم فى الدواوين بدلا من العربية، وجعلت من الفرس (الموالى) سادة علي العرب.. ففزع المتنبى صارخاً.. متحدثا عن بغداد مقر الخلافه..

ويغدو الفتى العربى فيها

غريب الاهل واليد واللسان

ملاعب جنه لو سار فيها

سليمان لسار بترجمان

ورداً علي هذا الفزع العربى كان من الضرورى البحث عن غطاء دينى، أو بالدقه إصطناع رداء دينى «سئل رسول الله عن الآيه «وإن تتولوا نُولَّ قوما غيركم» من هم هؤلاء القوم الذين سيتولون مكان العرب؟، فوضع يديه علي منكبى سلمان الفارسى وقال: هذا الفتى ورهطه، فوالله لو كان الايمان منوطاً بالثريا لناله قوم من فارس».

وتكاثرت محاولات إلباس المصلحه السياسية برداء دينى حتى جاء البخارى ليجد ستمائه ألف حديث لم يصح لديه منها الا ثمانيه آلاف أغلبها مكرر بأكثر من لفظ.

ويرتبط بتسييس الدين فعل آخر أشد خطاً هو الخلط بين الدين [المقدس] وبين الرأى فى الدين [وهو إنسانى]، إنسانى بمعنى انه يحتمل الصواب والخطأ. لكن دعاة تسييس الدين يحاولون ان يفرضوا علينا «رأيهم» باعتباره صحيح الدين، وليس باعتباره واحداً من آراء وإجتهادات شتى.

ويترتب علي ذلك أيضا القول بوجود سلطه دينيه. ونحن

نعتقد ان مثل هذه السلطه لم ترد فى نص دينى لا قرآن ولا سنه صحيحه، لا تصريحاً ولا حتى تلميحاً. ولنا فى ذلك تفصيل لاحق.

ويبقى ان نقول ان المتأسلمين لم يأتوا بجديد فى محاولاتهم للتطلع المنبهر إلى الخلف. فالفلاسفه الرومان واليونان كانوا يعتقدون ان العصر الذهبى للانسانيه قد تحقق فى الماضى، ثم إنحط الانسان بلا قدرة ولا أمل له فى فعل جديد سوى إستعادة قيم ومُثل الماضى.

وفى العصور المسيحيه الوسطى كان المتشددون يستندون إلى فكرة الخطيئه الأبدية والمفترضة دوما، فى إلجام أيه محاولة للتطلع للمستقبل، ولتدفع الانسان فقط إلى رجاء العودة إلى الاصل النقى من أيه خطايا.

* * *

وقبل ان ننتقل من ساحه التعريفات يجدر بنا ان نشير إلى أن اللغه .. أيه لغة هى كائن حى. ومن ثم فإن الكلمات تحمل معانٍ مختلفه .. تختلف وتزداد إختلافا بمضى الزمن.

كنموذج كلمه « التقدم». كانت فى العصر الوسيط تحمل

معنى عسكرياً صرفاً [تتقدم قطاعات الجيش إلى الأمام]. ثم يأتى القرن ١٦ ليمنحها مضمونا أخلاقيا فأصبح التقدم يعنى المضى قدماً فى طريق الفضيلة.

ثم وفى القرن ١٧ وعلى يد «فرانسيس بيكون» إتخذت الكلمة مسحة من معناها الحديث فأصبحت تعنى السعى نحو المزيد من المعرفة.

اما فى القرن ١٨ فان السياسى والفيلسوف وعالم الرياضيات «جان كوندرسيه» قد منحها معنى تعبر به عن المعركه الطويله التى خاضها العقل ويستمر فى خوضها ضد الغيبيات بما يمكن الانسان من تحقيق حريته مستندا إلى العقل والعلم.

وفى بداية القرن ١٩ قال «أوجست كونت» انها تعنى القوه الدافعه للحركه التاريخيه عبر سيطرة العقلانيه علي العلاقات الاجتماعيه بين الناس.

وفى اربعينيات القرن ١٩ أصبحت كلمه «التقدم» تمثل حركة فكرية تتمثل فى قوة دافعة ومنظمة لحركه الجماهير من أجل تحقيق أهدافها.

.. ومثال آخر .. كلمه « بلطجى» وأصلها تركى [بلطه جى] وتعنى الجندى الشجاع أو الفدائى الذى يتقدم الجيش ليستخدم البلطه فى فتح الطرق وإزاله الاشواك والاشجار والعوائق مفسحاً الطريق أمام تقدم القوات الاساسيه..وبعد زمن يستخدم ذات اللفظ كصفه مذمومه لشخص يستخدم القوه ضد الحق والعدل والقانون.

ومن ثم فانه من الخطأ ان نتعامل مع اللغه والالفاظ والمسميات ككائن ميت او كما يقولون «ميتافيزقى»

أعطى مره واحده وبقى ويبقى وسيبقى دون أى تغيير أو تطور.

وهكذا فإذا إراد شخص إن ينتزع تعريفا للعلمانيه من وعاء فرنسى كان على زمن الثوره الفرنسيه فإننا نقول ما قلنا بشأن تنوع العلمانيه وتجدد اللغه وتغير معانى مفرداتها.

* * *

العلمانيه عبر التاريخ:

وفى البدء كان العقلانيون الاغريق . «انت لا تستحم فى ماء النهر مرتين» هكذا قال أنا كسيمندر مؤكداً حتميه تغير ماء النهر دوما. وإن تغير «الاشياء» يتطلب عقلانيه تفهم الشئ فى حال تطوره.. فهو ليس – ثابتا اى انه ليس ميتافيزيقيا.

وقد حاول أرسطو [٣٨٤ ق.م – ٣٢٢ق.م] أن يوجد فى إطار الفلسفة الاغريقيه حلاً علمانياً لمسأله العلاقه بين الخالق والكون والحياه.. فالله عند أرسطو خالق وفاعل للكون، ومحرك أول له، لكنه ترك شأن تدبير الكون ورعايته للأسباب، والأدوات الماديه التى أودعها الخالق فيه، بحيث يظل الكون مكتفيا بتدبير ذاته لذاته.

لكن التشدد الكنسى وضع العصا فى عجله مثل هذا الحل. ورفض أيه حلول تأويلية فى هذه العلاقه.

فالقديس أو غستين [٣٥٤ - ٤٣٠م] أكد «أن سلطه الكتاب المقدس هى أكبر من جميع قوى العقل الانسانى، فحيث يقع التناقض بين الملاحظه العلميه والكتاب المقدس نهمل هذه الملاحظه العلميه»

ولعلها مفارقة تستحق التأمل أن نجد رداً حاسماً من جمال الدين الافغانى علي هذه المقوله: «ان الدين يجلُّ عن مخالفه العلم الحديث. ، فإن وقعت المخالفة وجب تأويل الدين»

وهذه مفارقة هامه، لكن المفارقه الاكثر أهميه هى أن عصر التنوير في الغرب قد بدأ في بداية القرن الثالث عشر الميلادى بترجمه كتب ابن رشد بأمر من الامبراطور فريدريك الثانى [الذى أراد أن يناوئ نفوذ وتسلط الكنيسه بمثل هذه الكتب] ، لكن المثير للدهشة أن كتب إبن رشد قد أحرقت فى بلده فى ذات الوقت، ووقعت المفاصلة التى أوصلتهم الي ما هم فيه، وأوصلتنا إلى ما نحن فيه.

ونعود إلى أوربا لنشهد معها نشوء «الحركه الانسانيه» علي يد «إيرازموس» [١٤٦٩ -١٥٢٦م] وفرانسوا رابليه[١٤٩٤ - ١٥٥٣م] وهى حركه دافعت عن حريه الانسان وحقه فى التفكير الحر، وتمردت علي سلطة الكنيسه والاقطاع.

وبدأت عمليه إستخدام العقل في محاوله لفهم معطيات الدين واعطائها بعداً عقلانياً بعيداً عن التشبث النصى الذى تمسكت به الكنيسه. ويقول جون هرمان راندال عن هذه المرحله

«لم يعد الدين حاجة تمليها الغريزة وضرورات النفس البشريه، بل أصبح علماً كعلم الفيزياء أى نظاماً من القضايا العقليه التى يستعملها الانسان لامتحانه -كما تمتحن أية قضايا أخرى - ببراهين العقل التى يستعملها أحدنا لقبول قانون فيزيائى أو مبدأ سياسى»(٦)

ثم، ومن قلب التشدد الأوغسطينى ينشأ التمرد فتأتى الحركه اللوثريه [مارتن لوثر ١٤٨٣ -١٥٤٦]. وقد ظل مارتن لوثر وحتى عام ١٥١٧ راهباً أوغسطياً ثم تمرد على سلطة الكنيسه وأعلن القضايا الخمسه والتسعين التى ضمنها إنتقادات مريرة علي ممارسات الكنيسه مؤكدا إبتعادها عن الجوهر الصحيح للدين.

وتقوم الحركه اللوثريه علي أساس ان الدين أمر شخصى، وأن الخلاص فردى ويأتى عبر علاقه خاصه وفرديه ومباشره مع الرب(*).

---

٦ -جون هرمان راندال - تكوين العقل الحديث - جـ١ - ص٤١٩

(*) أسميت هذه الحركة بالبروتستنتية عندما وجه أنصارها إعتراضا protest ضد قرار حرمان لوثر من حقوقه واعتباره خارجاً على القانون.

ثم.. وعندما تقدم علم الكيمياء والفيزياء والميكانيكا أعطى هذا التقدم تفسيراً للكون جعل المحاوله الارسطيه للتلاؤم بين الدين والعلم خاليه من المضمون. وأجبر الجميع علي اللجوء إلى التأويل. فقد قامت الحركه العلميه على أساس من المشاهده والتجريب وإعمال العقل، بعد ان كانت تستند إلى الفهم الميتافيزقى.

ونشط العلماء والمفكرون والفلاسفه في إيجاد نسق عقلانى وعلمى لفك طلاسم العلاقه المتشابكه بين الدين والاكتشافات العلميه المتلاحقه التى أثمرها العقل.

ولعله يكون مهماً ان نذكر أن من بين من نشطوا فى هذا المجال كان كلا من ماركس وانجلز. فهما يرفضان وبشده محاولات برونو باور نشر مقولات معاديه للدين.. بينما يهرب من مواجهه الخصوم الطبقيين « ان خصومنا هنا على الارض، ويجب ان نواجههم هنا علي الارض، ولا يليق بنا ان نهرب من هذه المواجهه لنصطنع لانفسنا خصوماً فى السماء»[٧]

---

٧ - كارل ماركس ،فريدريك إنجلز - الايديولوجيه الالمانيه - الطبعة الانجليزيه ص٤٠٥

ويقول ماركس «ان التشدد الدينى هو من ناحيه تعبير عن تشدد حقيقى موجود فى الحياه، وهو من جهه أخرى إحتجاج على هذا التشدد. انه متنفس المخلوق المضطهد، هو روح عالم بلا قلب. واحساس بالاوضاع الاجتماعية القاسيه التى لا تمتلك أى إحساس»[٨]

* * *

وتصعد العلمانيه كحركة عقلانيه تدعو لاعمال العقل والعلم والاخذ بهما لتطوير العالم.. نحو الافضل.

ويخطئ البعض إذ يتصور المنهجية العلمانية كنسق واحد مغلق ونهائى. فهى ليست نسقاً واحداً، ولم تصنع فى معمل معقم من المؤثرات الخارجيه، بل هى حركه إجتماعيه تنشأ في كل موطن لها متأثرة باطارها المحلى وكانعكاس لمعطياته.

ومن ثم فإنه من الخطأ القول بعلمانية واحدة. هناك علمانيات عده.. لكل منها خصائصه المحليه.ففى فرنسا مثلا نسق علمانى يقوم على أساس التضاد مع الكنيسه.

---

٨ - كارل ماركس - مساهمة فى نقد فلسفة الحق - ص٤٢

فقد كانت الكنيسة الفرنسيه تابعه لكنيسه روما. ونشأت حساسية «وطنيه» و«قوميه» لدى البرجوازيه الفرنسيه الناهضه. وكانت الكنيسة مصممة على إستتباع الدوله لها. بينما الدولة ترغب فى إستتباع الكنيسه التى منحت لنفسها سلطه عاتية أقوى من سلطه الدوله، ونالت نفوذاً إقتصادياً [عبر ضريبه العشر] وفكرياً عبر سيطرتها على التعليم.

وإستخدم العلمانيون الأوائل الانجيل فى معركتهم ضد الكنيسه «إعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله»

.. وتواصلت المعارك.. روسو..فولتير. ديدرو. الموسوعيون. مونتسكيه. وريننان الذى تميز بدعوته الى دولة محايدة بين الكنيسه والناس.

وخاض العلمانيون الفرنسيون معركة ضد نظرية سلطة السيفين theory of two Swords [السيف الروحى والسيف الزمنى] ودعوا إلى سلطه السيف الواحد. اى فصل الدين عن الدوله.

ورفعوا شعار «كل شئون الدين للكنيسه، وكل شئون الدنيا للبشر».

كان ذلك حتى نشبت الثوره الفرنسيه ووقفت الكنيسه ضد الثوره.

وفى عام ١٧٩٣ وقف رجال الاكليروس مع قوى الثوره المضاده وهنا أخذ العداء للكنيسه موقفا واضحا ومنظما..

الكنيسه ضد الجمهوريه. الجمهوريه ضد الكنيسه(*)

وهكذا فإن الشكل الفرنسى للعلمانيه.. اى الشكل المضاد للدين هو شكل شديد الخصوصيه.. «فهى لم تكن مجرد دعوه لفصل الدين عن الدوله بل إتخذت طابعا مضاداً لكل ما هو دينى.. بهدف إخضاع الكنيسه الكاثوليكيه لسلطه الدوله» [حتى لا تظل تابعه لكنيسه روما]. وهكذا دخلت الثوره الفرنسيه فى حرب ضد الكنيسه «فصادرت أملاكها ، وقوضت سلطه الاكليروس وألغت ضريبه العُشر، وعممت السلطه المدينه علي الزواج والاسرة والتربيه والتعليم»[٩].

* تجدر ملاحظه الفارق بين موقف الكنيسه في فرنسا وموقف الازهر في مصر. الازهر وقف مع الثورات وساندها فأخذت فى أغلبها بعداً دينيا أو على الاقل رفعت شعارات دينيه: «يارب يا متجلى إهزم العثمانللى» - «بونابرته تتجبر . يا فرنسيس الله اكبر» «يا عرابى ربنا يحميك ورسوله محمد يشفع فيك» - «يا عزيز يا عزيز كبه تاخد الانجليز» - «عاش الهلال مع الصليب».

٩ - رضا هلال - مقال «ما بعد العلمانيه» - مجله العصور الجديده. عدد ابريل ٢٠٠٠.

لكننا نشاهد نمطاً علمانياً آخر هو النمط الانجلوساكسونى . فهناك فصل حاسم بين الدين والدوله، لكن الدوله المدنية لم تدخل في صراع مع الكنيسه بل أن الملك فى بريطانيا يظل رمزياً رأساً للكنيسة

اما فى امريكا فإن الدوله المدنية حرصت علي حمايه الدين من أى عدوان على ساحته فى حين ظلت تؤكد علمانيتها .

فالتعديل الاول لمسوده الدستور [١٧٨٧] يؤكد «أن الكونجرس لن يصدر أى قانون بصدد ترسيخ مؤسسة الدين أو منع ممارسة الدين بحريه» وواضح ان الهدف من هذا التعديل هو حمايه الكنيسه وحريه العباده من أى عدوان من جانب الدوله المدينه. ولانحظ دوما أن أمريكا وهى دوله علمانيه بشكل مؤكد تحرص علي أن تسجل عملتها النقديه عبارة:

in God we Trust. ولعلها الدوله الوحيده فى العالم التى تفعل ذلك.

وبرغم ان الدوله الامريكيه لا تمول اى نشاط دينى من ميزانيتها الفيدراليه، وبرغم انها لا تشترط في المحاكم حلف يمين دينى، فان المجتمع الامريكى يعتبر من أكثر المجتمعات

تدينا. بما يؤكد ان العلمانيه ليست بالضرورة موقفا مضاداً للدين. وتقدم لنا الاحصائيه التاليه تعبيرا عن الحاله الدينيه فى عدة دول علمانيه..

«٨٢٪ من الامريكيين يعتبرون أنفسهم متدينين، مقابل ٥٥٪ فى انجلتر،٥٤٪ في المانيا، ٤٨٪ فى فرنسا» اما من يؤدون الصلاه الاسبوعيه فى الكنائس فهم ٤٥٪ فى أمريكا، ١٨٪ في المانيا، ١٤٪ فى بريطانيا، ١٠٪ فى فرنسا»[١٠]

خلاصه القول.. اننا نخطئ - كثيرا إذ نعمم نسقاً فكرياً معيناً [سواء ببعده التاريخى أو المحلى]للعلمانيه. فالعلمانيه الفرنسيه المتعارضه بشكل حدىٍّ مع سلطه الكنيسه نشأت فى ظرف تاريخى معين وفى ظروف إجتماعيه وسياسيه محدده، وكرد فعل لتصرفات الكنيسه ذاتها. ومن غير الجائز تعميم هذه الظاهره علي كل تجليات العلمانيه .. فى كل الازمنه وفى كل البلدان.

* * *

١٠ - نقلا عن المرجع السابق.

لكننا يتعين علينا ان نلاحظ انه ومهما كانت أشكال العلمانيه ونوعيه علاقاتها بالمؤسسات الدينيه، فانه لم يكن بوسع سلطه الدوله الانفصال عن مجال التأثير المؤسسى للسلطه الدينيه دون وضع مبادئ وضوابط جديده تنظم بها ومن خلالها العلاقات الاجتماعيه والاقتصاديه وأمور الناس الحياتيه، ومن ثم بدأت عمليه بناء دساتير وقوانين وضعيه تنظم حياة البشر، كما تم بناء مؤسسات تعليميه مدنيه، وبهذا إستقلت الترتيبات الحياتيه [الدنيويه] عن المؤسسات الدينيه لتوضع فى أيدى الاجتهاد العقلانى للبشر.

ومن ثم فإنه يمكن القول ان الغالبيه العظمى من بلدان العالم هى دول علمانية بقدر أو بآخر.

* * *

⋆ الاسلام والعلمانيه:

قال الامام ابو حنيفه : كلامنا هذا رأى فمن كان لديه خير منه فليأت به.

وقال أحمد: لا تقلدنى. ولا تقلد مالكا ولا الشافعى ولا الثورى وتعلم كما تعلمنا.

وقال الجوزى: فى التقليد إبطال لمنفعه العقل لأنه إنما خلق للتدبر والتأمل، وقبيح بمن أعطى شمعة يستضئ بها أن يطفئها ويمشى فى الظلام.

انها دعوه ملحة لاعمال العقل بدلا من النقل. ورفض التقليد الاعمى للتراث . ودعوه لاحترام الرأى الاخر..

لكننا نخطئ إذا تصورنا وجهاً واحداً للموقف - إزاء العقل والعلم.

فالمسلمون كغيرهم إختلفوا حول موضوع العقل وإعماله..

فالبعض منهم يفسر الظواهر الاجتماعيه والسياسيه والاقتصاديه تفسيراً عقلياً أى علمانياً، والبعض يفسرها تفسيراً دينياً محضاً.. ولنأخذ مثالا.

القاضى عبد الجبار وهو معتزلى يتحدث فى كتابه «المغنى»

عن أسباب الغلاء فيقول انها «قلة الشئ مع شدة الحاجة إليه، أو كثره المحتاجين بالنسبه إلي ما هو موجود. وإن ما يجرى من الغلو في التسعير إنما أنشأه بعض الظلمة ويؤدى إلى فساد يعم الفقراء، وعلى الحاكم التدخل لتسعير السلع تسعيراً ييسر علي الفقراء معاشهم» [انها نظرية العرض والطلب مصطحبه معها توجها إجتماعياً]. بينما الامام الباقلانى وهو أشعرى يقول فى كتابه «التمهيد» «ان الغلاء والرخص فى الاسعار إنما يرجعان الى الرغائب والدواعى، فان جميع الاسعار من الله سبحانه وتعالي لانه هو الذى خلق الرغائب فى الشراء ووفر الدواعى إلى الاحتكار»

إنهما موقفان أحدهما علمانى عقلانى والآخر يعود لتفسير كل شئ تفسيراً دينيا محضاً.

وكان الموقفان موجودان دوما، يتناقضان ويتواجدان معاً.

وفى رؤيه التراث تتبدى الثنائيه أيضا، وهى ثنائيه إذا ما كانت إنتقائيه تكون خاطئه. فالتراث كان وسيبقى ثنائياً مثله مثل الحاضر، والمستقبل.

ونخطئ لو اكتفينا برؤيه أحاديه.. لانها وببساطه تكون غير

واقعيه، وغير صحيحه.

كمثال يمكن للمتحدث عن الموقف الاخلاقى عند العرب القدماء ان يختار أحد موقفين. موقف يقول:

لنا الدنيا وما أمسى عليها

ونبطش حين نبطش قادرينا

بغاة ظالمين وما ظُلمننا

ولكنا سنبدأ ظالميا

وموقف آخر يقول:

ونحن آناس يعرف الناس فضلنا

لا نبتدى بالأذى من ليس يؤذينا

فأى الموقفين الاخلاقيين كان موجوداً؟

كلاهما .. معاً، وجنبا إلي جنب.

هكذا كان الأمر دوما.. وهكذا يتعين علينا ان ندرس الماضى وان نتعرف علي التراث. لكن الأصل الجوهرى فى الاسلام يقوم على إحترام العقل، وعلى ضرورة إعماله.

ولأن الرسول محمد (صلعم) خاتم المرسلين. ولأن الاسلام دين شرع لكل زمان ومكان . ولأن الوحى إنقطع بوفاه الرسول،

ولأن إختلاف الازمنه وإختلاف الأمكنه يستلزمان إختلاف التطبيقات فقد شرع المسلمون قاعدة فقهيه أساسيه تقول « ما يتناهى لا يضبط ما لا يتناهى».

فاذا كان الكتاب والسنه يتضمنان وفقط قواعد عامه فى الاساس وبلا دخول فى تفاصيل.. ولأن الحياة تتجدد وتتشعب وتختلف يصبح الرجوع إلى «العام» غير كاف لضبط مستجدات الحياه المتجددة دوماً، ومن ثم فقد اضطر الفقه إلى إقرار قاعده حق العقل في إبتكار قواعد ملائمه للتعامل والعلاقات.

ونشأ : القياس - المصالح المرسله - القضاء بالقرائن - الاستحسان - الاجماع. وهى جميعا إنسانيه المنشأ وبحاجه إلى إعمال العقل.

لكن البعض يفسر قول الرسول «أنتم أعلم بشئون دنياكم» ويفسر الحق فى إعمال العقل بالقياس والمصالح المرسله .. والاجماع بأنه حق للمسلمين الأوائل وحدهم.. اما من تلاهم فليس عليهم إلا النقل عنهم.

والحقيقه ان ذلك يثير قضيه هامه فاذا قلنا بالأخذ بالاجماع كان من حقنا ان نسأل إجماع من؟ وإذا قيل الفقهاء سألنا فقهاء

أى عصر؟ ومن هو الفقيه؟ وهل نأخذ بإجماع فقهاء المدينه أم فقهاء بغداد أم الكوفه، وقد تناقضوا معاً؟ وإذا كانوا قد إجتهدوا للاجابه علي مستجدات زمانهم ومكانهم، فماذا عن زماننا ومكاننا نحن؟

لكن البعض يرفض الفقه بجمله، فيغلق أبواب العقل ويمنع استخدامه. يقول شكرى مصطفى «لافقه ولا مصالح مرسله ولا إستحسان ولا إجماع فقط قال الله وقال الرسول»[١١]

لكننا إذا تابعنا تصرفات ومواقف الخلفاء الراشدين وهم قاده مسلمى الصف الاول .. وحتى فى مسائل حاسمة كالحدود نكتشف أنهم أعملوا العقل لا النقل .. وتصرفوا معملين المصلحة ولم يتقيدوا حتى بالنص اذا وجدوا فى إعماله إضراراً بمصلحه المسلمين.

وقد ووجه عثمان فور توليه الخلافة بامتحان صعب. فإثر مقتل عمر بن الخطاب علي يد أبى لؤلوة المجوسى إندفع عبد الله بن عمر إثر مقتل والده فقتل الهرمزان [مسلم فارسى]

---

١١ - شكرى مصطفى - التوسمات [مخلوط].

وجفينة [نصرانى] كما قتل إبنه ابى لؤلوه [ذميه] .. وثارت قضيه إقامه الحد علي عبد الله. واختلف الصحابه، على بن أبى طالب أكد علي ضرورة إعمال الحد وقتل عبد الله قصاصاً. اما عمرو بن العاص فقد أشار بتجنب قتل عبد الله قائلا «لئلا يقول المسلمون قُتل عمرُ بالامس، وقتل ابنه اليوم». وقدم عمرو بن العاص مخرجاً أو بالدقه تأويلا.. فقال «يا أمير المؤمنين لقد فعل عبد الله ما فعل فور مقتل ابيه وقبل ان نبايعك .. فانت لم تكن قد توليت بعد..» اختلفت الآراء وتصارعت لكن عثمانا حل الأمر على طريقته الارستقراطيه فدفع دية القتلى من ماله الخاص.. واطلق القاتل.

ثم يأتى الدور علي عثمان فيقتل.. ويبايع علي بن ابى طالب خليفه. « ودخل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام علي عليّ ومعهم عدد من الصحابه قائلين يا على إنا قد إشترطنا إقامه الحدود، وان هؤلاء الناس قد إشتركوا فى قتل الرجل.

فقال على: يا إخوتاه، إنى لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم أولاء قد ثارت

معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موقعى بقدره على شئ مما تريدون»[١٢]

وهكذا فإن على الذى صمم علي أقامه الحد علي عبد الله بن عمر وجد نفسه فى مأزق صعب، فالثوار يسيطرون على المدينه، ووجد ان إقامه الحد تزيد من ثورتهم فلم يُقم الحد، مما أعطى معاويه فرصة إتخاذ ما أسمى قميص عثمان أى الاحتجاج بضرورة إقامه الحد.. ولما تولى معاويه لم يقمه. وهكذا فإن إعمال العقل والمصالح المرسله أوقف فى بعض الاحيان إقامه الحد..

وفيما يتعلق بحد الزنا جاء فى القرآن الكريم «الزانيه والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائه جلده» النص واضح وصريح وغير مقيد بشرط، لكنه لم يطبق أبداً كما ورد فى القرآن. بل حدد مطبقوه، وهم بشر شرطين إضافيين لم يردا فى النص وهما توافر أربعه شهود عدول، ورؤيتهم للعمليه رؤيه قاطعة مانعة للشك وكأنه المرود فى المحكلة.

---

١٢ - إبن الاثير - الكامل فى التاريخ. جـ٣ - ص٠٠

إنهما شرطان بالغى الصعوبه حتى مجتمع بدوى، المأوى فيه الخيمه والسقيفه فماذا عن زماننا حيث الاقامه فى دور محكمه الاغلاق؟ الا يتطلب ذلك وضع ضوابط جديدة؟ وكيف نضعها دون إعمال للعقل وللمصلحه؟.

اما حد السرقه فان الفقهاء القدامى إشترطوا لقطع اليد سته عشر شرطا منها ان يكون المال المسروق مملوك للغير ولا شبه شرك فيه، فسارق بيت مال المسلمين لايحد أى لا يقام عليه الحد لأن هناك شبهة انه مستحق فى اموال هذا البيت المملوكه امواله للمسلمين جميعا، فكيف عندنا بسارق المال العام ومال القطاع العام والقطاع التعاونى وفيه شراكه مؤكده؟ . كما أن أحد الشروط ألا يكون المال المسروق فى حرز فان تركت سيارتك في الشارع فهى فى غير حرز وسارقها لا يقام عليه الحد، اما ان كسر بابها وسرق الكاسيت يقام عليه الحد لانه سرق مالا في حرز.

وهكذا تفرض علينا مستجدات الحياه ان نتعامل مع الفقه القديم بحذر، فاتحين عقلنا ووجداننا من أجل فقه جديد ومتجدد.

وتدل الوقائع على ان الدوله لاموية قد اخضعت نفسها ومنذ أيامها الاولى لمستجدات الزمان والمكان فقد عثر مؤخرا على عدد من البرديات فى قريه العوجه منها برديه تقول ان الدائن الاسود بن عدى قد أقرض المدين الأب قيارا خمسين ديناراً وهو يُقر أنه قد إستوفى حقه.. ومن ثم فإن الاب قيارا وابنه لهما الحق فى الذهاب حيث يشا ءان[١٣]

ومعنى ذلك ان الدوله الامويه كانت تطبق في المعاملات الماليه القانون الرومانى الذى يعطى للدائن حق إحتجاز المدين جسديا حتى يستوفى دينه.

لكن البعض يرفض اعمال العقل.. ويرفض اى خروج عن التقليد والنقل.. مستخدما فهمه الخاص..

ويلجأ هذا البعض إلى الآيه الكريمه « ألا له الخلق والأمر » [الاعراف:٥٤].

والآيه: «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين» [الانعام:١٩٢]

---

١٣ - مجموعة برديات العوجه - برديه رقم ٥٦ محررة باللغتين العربيه واليونانية ومؤرخه سنه سبع وستين هجريه.

ونتأمل الآيتين.

له الخلق والأمر. وصلاتي ونسكي ومحياي ومماتي.. ثم يترك ما تبقى للبشر يعملون فيه عقلهم.

والمتروك في الاسلام متروك لاستحسان البشر واختيارهم.

يقول د. محمد شحرور «ان بعض المتأسلمين يقولون ان خير الازمنه هو الزمن الاسلامي الاول، وانه أوثقها في فهم التنزيل، وكأن قوله تعالى «لقوم يعقلون» و«لقوم يفقهون» و« لقوم يتفكرون» قد جاء وقفاً على أصحاب الزمن الاول في الاسلام والناس بعد ذلك تولد وتعيش وتموت دون عقل ودون فقه ودون فكر»[١٤]

خلاصه مقصدنا هو ان نؤكد أن الاسلام دين يحترم العقل ويترك للمسلمين الحق في إستخدامه في شئون دنياهم، وحتى في تجاوز تطبيق بعض الحقوق.. وأن المسلمين الأوائل كانوا في كثير من الأحيان الاقرب إلى الفكر العلماني.

---

١٤ - د. محمد شحرور - دراسات إسلاميه معاصره - ص٤٢

العلمانيه والتأسلم:

والتأسلم قديم.. يقول ابن تيميه «كان الصحابه والتابعين من الجيل الاول اصحاب عقل راجح مما جعل الحلول التى وصفوها للمجتمع الاسلامى فى قضايا الدين والدنيا جديره بالثقه المطلقه التى لا يرقى اليها الشك أو التجريح، وكل رأي يخالف ذلك انما هو بدعه تستحق المذمه والنكران. أما العقل فلا سلطان له فى تأويل القرآن وتفسيره إلا بالقدر الذى يؤدى إليه ظاهر العبارات. وإذا كان للعقل من سلطان فهو فى التصديق والاذعان وتقريب المعقول.. أى ان يكون شاهداً وليس حكماً، مؤيداً وليس ناقضاً»[١٥] أى ان باب إعمال العقل والاجتهاد قد أغلق، فكيف نصدق انه اغلق؟ وبأى نص أغلق؟ ومن قال ان العقل الراجح كان وفقط وقفا على الصحابه والتابعين من الجيل الاول؟

أما أبو حامد الغزالى فقد دعا إلى قصر علم الكلام على الصفوة وحبذ للعوام الانشغال بالعبادة دون العلم.

---

١٥ - الشيخ محمد ابو زهره - المذاهب الاسلاميه - ص١١٢

ويقول إن الوجود ينقسم الى ثلاثه عوالم:

- عالم الملكوت: وهو أسمى العوالم، وهو أزلى، لا يتغير.. وهو عالم الحقائق التى لا تدرك الا بالحدس الصوفى.

- عالم الجبروت: وهو لا يدرك أيضا الا بالحسد الصوفى وهو منزلة بين المنزلتين.

- عالم الملك: ويدرك بالحواس [١٦].

لا مجال للعقل إذن فى فهم الوجود فقط الحدس الصوفى للصفوة، والحواس للعوام.

ويواصل ابو حامد الغزالى معركته ضد العقل ويقول «ايها الولد اى شئ حاصل لك من تحصيل علم الكلام والنحو والتصريف غير تضييع العمر، .. ايها الولد قد علمت انك لا تحتاج إلى تكثير العلم، والآن أبين لك ما يجب علي سالك سبيل الحق، فإعلم انه ينبغى للسالك شيخ مربٍ ليخرج الاخلاق السيئه منه ويجعل مكانها خلقا حسنا»[١٧]

---

١٦ - للتفاصيل راجع: ابو حامد الغزالى : إلجام العوام عن علم الكلام.

١٧ - للتفاصيل راجع: ابو حامد الغزالى - رساله ايها الولد.

وكان العصر العباسي في بعض وجوهه وبعض مراحله مصدراً لمعارك ضاريه ضد العقل.

فالمعتزله إذ قالوا بخلق القرآن فرضوا رأيهم فرضاً علي مخالفيهم، بل وأمروا الولاة بامتحان الفقهاء حتى أسميت هذه العمليه «بالمحنه» فكانوا يستقدمون الفقهاء واحداً واحداً ليجبروهم على القول بما يقولون تحت طائله الموت او السجن. فكان ان خضع الكثيرون وقالوا بما لا يعتقدون، متخلين عن حقهم في إعمال عقلهم..

وقد بدأت المحنه الحقيقيه عندما قرر الخليفة المأمون ان يفرض قوله بخلق القرآن علي الناس فرضاً، بالجدال والالحاح أولا ثم بالاكراه البدني ثانيا. وقد بدأ المأمون بحرمان من ليس علي مذهبه من تولى مناصب الدوله، أو حتى من حقه في أن تُقبل شهادته في أي خلاف ثم قال «ان القول بقدم القرآن شبه إشراك بالله ومن ثم يجب ان يُرد الناس عن ذلك كما يرد الكافر عن كفره، فإن أبى يُقتل كما يُقتل المرتد، واذا كان العلماء هم قادة الناس في هذه العقائد، فيجب ان يُبدأ بهم وبتصحيح عقيدتهم وبعقابهم إن اصروا علي موقفهم، بل بقتلهم

أحيانا »[١٨]

ويرسل المأمون كتابا إلى أسحاق بن ابراهيم يصف فيه مخالفيه «انهم الجهلة الذين سهلوا السبيل لعدو الاسلام .. وليس لمن قال بهذه المقاله حظ فى الدين، ولا نصيب من الايمان واليقين، ولا يحل أحد منهم محل الثقة فى زمانة ولا عدالة ولا شهادة، ولاصدق فى قول ولا حكاية ولا يتولى شيئاً من أمر الرعية »[١٩]

وإذ يسمع المأمون ان بشراً بين الوليد يرفض القول بخلق القرآن يأمر بسجنه، ثم لايكتفى بذلك بل يأمر واليه بأن يستدعيه «فإن أصر على شركه ولم يقل بخلق القرآن فاضرب عنقه، وابعث برأسه إلى، فإن تاب فأشهر أمر توبته » ويرسل بشأن أبو العوام قائلا «إنه سيحسن الجواب في القرآن إذا أخذه التأديب، فإن لم يفعل كان السيف وراءه »[٢٠]

---

١٨ - احمد أمين - ضحى الاسلام -ص١٧٥

١٩ - المرجع السابق - ص١٧٨

٢٠ - المرجع السابق - ص١٨٣

ومن صمدوا للسجن والتعذيب فى هذه المحنه أحمد بن حنبل، وإذ يتسلل إليه فى السجن عمه اسحق بن حنبل طالبا إياه ان يقول بخلق القرآن تقيه [اى مداراه اللحاكم] كما فعل الكثيرون قال «إذا أجاب العالم تقية، والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق؟[21]) وتجتاح المحنه كل الامصار ويقوم موسى بن العباس والى مصر بامتحان علمائها ، وقتل كل من لم يجب بخلق القرآن حتى قيل أنه أباد وفقهاء مصر»[22]

ثم كان الخليفه المتوكل العباسى الذى خاض المعركه ضد المعتزله واستند هذه المره على من ظُلموا فى عهد المأمون.. على أتباع احمد بن حنبل (١٦٤ -٢٤١هـ) وأمر الناس بالتسليم والتقليد وقال «إياكم والقياس، قدم الاسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم، إياكم والتعمق فإن من كان قبلكم قد هلك به»[23]

---

٢١ - المرجع السابق.

٢٢- المرجع السابق -ص١٨٤

٢٣ - د. جابر عصفور - قراءه فى ابن المعتز (مقال) مجلة فصول - جـ٦ ص٢٤١٠١

لقد إعتبروا ما يبدع العقل إبتداعاً، والابتداع بدعة، والبدعة ضلالة، والضلالة فى النار.

وفقد العقل قدرته على الفعل، بل أصبح محرماً استخدامه.

أما المتأسلمون المحدثون فلم يختلفوا كثيرا فشكرى مصطفى امير «الجماعه المسلمه» التى أسميت اعلاميا

« التكفير والهجرة» يكتب فى «التوسمات» «وُرد فى الحديث الشريف قل أعوذ بالله من علم لاينفع، وكانت جماعه محمد تتعلم هذا الدين لا تتعلمه لمجرد العلم ولا تتعلمه للدنيا ولكن تتعلمه للتطبيق والعمل والعبادة. العلم وسيله لعبادة الله وكل علم يتعلمه الانسان لغير عبادة الله فقد تعلمه لنفسه وتعلمه لغير الله.. وهذا شرك» وبهذا أفتى بأن تعلم الطبيعه والكيمياء والرياضيات والهندسه وغيرها من العلوم ما عدا الفقه والحديث واللغه العربيه حرام، بل وشرك بالله.[٢٤]

..كذلك أغرقنا دعاة التأسلم ومنذ البداية فى مأساة التفسير النصى.. ولقد تحدثنا عن ذلك فى البدايه.. ولكن لم يزل ثمة تفصيل.

---

٢٤ - شكرى مصطفى - التوسمات (مخطوط) -ص٢٢.

وقد لجأ الكثيرون للتفسير النصى علي أكثر من وجه، يفسرون النص. بمعنى وبعكسه.. ولعل أشهر واقعه لذلك هى ما كان فى المعركه بين علي ومعاويه وما كان من التحكيم ورأى الخوارج فيه.. ويروى لنا ابن الاثير الحكايه قائلا:

« عندما أوشك جيش معاويه على الهزيمه أشار عمرو بن العاص علي معاويه أن إرفع المصاحف فوق أسنه الرماح، ومر الناس ان يقولوا هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فإن فعلوا ذلك ارتفع عنا القتال، وإن أبى بعضهم وجدنا فى إفتراقهم راحة.. » ..ويرفض على قائلا: «يا عباد الله، إمضوا إلي حقكم وقتال عدوكم،.. فانهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن فأنا أعرف بهم، صحبتهم أطفالا ورجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم ما رفعوها الا مكيده وخديعه.. فقال بعض صحبه: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فلا نقبل، بل ان مسعداً بن فدك التميمى وزيد بن حصين التميمي ومعهم مجموعه أخرى قالوا لعلى: إن الحكم الا لله. أجب إلى كتاب الله وإلا دفعنا برمتك الى القوم وفعلنا بك ما فعلنا بعثمان» بل هم الذين أصروا على إختيار ابو موسى الاشعرى. قال على لا أرضاه لكنهم فرضوه عليه.

والغريب ان ذات الاشخاص، وذات الاسماء هم الذين خرجوا ضد علي وأسموا فيما بعد بالخوارج وبرروا خروجهم عليه قائلين: «كنا بالامس نقاتل عمرو بن العاص، فإن كان عدلا فلم قاتلناه؟ وإن لم يكن عدلا فكيف يسوغ تحكيمه؟ وانتم قد حكمتم الرجال فى أمر معاويه وأصحابه، والله تعالي قد أمضى حكمه فيهم: ان يقتلوا أو يرجعوا» والمثير للدهشه انهم إستخدموا لتعزيز قولهم هذا ذات الحجة السابقة، وذات الآيه السابقة.. «إن الحكم إلا لله»(٢٥)

.. ويمضى أصحاب التفسير النصى الي آخر مدى. ويروى ابن حزم قصه الصحابى عبد الله بن خباب الذى مضى مع زوجته فى طريق به جماعة من الخوارج معلقا المصحف فى عنقه.. فقالوا له : الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك. وقربوه من النهر وذبحوه. ويمضي ابن حزم: «وكانت إلى جوارهم ضيعة صغيرة لأحد النصارى وذهبوا إلى صاحبها طالبين ان يبعيهم تمراً . فقال: خذوه بلا ثمن، فرفضوا قائلين : ان الله اوصانا بكم خيراً.

---

٢٥ - إبن الاثير - الكامل فى التاريخ - جـ٣ - ص١٧١.

فقال النصرانى: عجبا أتقتلون الصحابي ابن خباب، وتقولون انكم تعملون بما أوصى إليكم؟ »[٢٦]

لكن إستكمال قصه هذه المجموعه من الخوارج هو الاكثر إثارة للدهشة «أقبل واصل بن عطاء فى رفقه له، فأحسوا بالخوارج، وإذ أحس رفقته بالعطب قال: اعتزلوا ودعونى وإياهم.

ولما سأله الخوارج: ما أنت واصحابك؟

قال: مشتركون مستجيرون..

فطلبوا منهم الرجوع فقال إلم تسمعوا بالآيه «وإن أحدٌ من المشركين إستجارك فأجره حتى تُسمعه كلام الله» وبعد ان اسمعوهم كلام الله قالوا لهم إنصرفوا .. فقال واصل: اكملوا الآيه. وأكمل لهم: ثم أبلغه مأمنه . فقالوا له: ذلك لكم وساروا معهم فى جمعهم حتى بلغوا المأمن»[٢٧]

أليس ذلك غريبا؟. الصحابى الجليل يعلق المصحف فى عنقه فيقتلوه . والذي قال انه مشرك يتركوه بل ويحرسوه حتى يبلغ مأمنه.

---

٢٦ - ابن حزم - الفيصّل.

٢٧ - المبرد - الكامل فى لغه العرب- جـ٢ -ص٣٢٥

.. وتمضى قصه التفسير النصى لتصل إلى أيامنا هذه..
ولنستمع إلى واحد من متأسلمى زماننا «شكرى مصطفى» يقول: «الآيه الكريمه تقول: وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة ومن رباط الخيل.. وهذا خطاب موجه للمؤمنين كافه فى أول الزمان وفى آخر الزمان. والقوة كما جاء في الحديث هى الرمى، والخيل هى الخيل، فإذا جاء من يقول ان الخيل لا تصلح الآن نقول له عندما نقاتل نحن سيكون قتالنا بالسيف والرمى والخيل. وفى الحديث الشريف «الجنه تحت ظلال السيوف» فالجنه هى الجنه والسيف هو السيف ، ولم يقل الرسول الجنه تحت ظلال البنادق»

سنستخدم السيف لأن وسائل المسلمين وسائل متكررة والله برحمته وعزته قد برأ أهل الجماعه المسلمه من وسائل الكافرين الحديثه»[٢٨] لكن المثير للدهشة ان شكرى مصطفى عندما اختطف الشيخ الذهبى اغتاله بطلقه من مسدس وليس بالسيف.

ويقول شكرى مصطفى «العلم الحديث. فتنه. فالغرض من خلق الانسان هو العباده بالمعنى الحرفى للكلمه «وما خلقت

---

٢٨ - شكرى مصطفى - الخلافه - مخطوط..

الانس والجن الا ليعبدون» ومن ثم فإن كل ذرة تعلم يقصد بها غير هذه الغايه اى التعباده هى ذرة خارجه عن العبوديه، مضافه الى التأله فى الارض بغير الحق، فالأمه الاسلاميه أمة أميه لا تكتب ولا تحسب إلا بقدر الحاجة»(٢٩)

بل ان شكرى مصطفى ضد كل أشكال المدنية الحديثه وضد كل مكتشفات العلم ويقول: «يستحيل التوفيق بين تلك المدنية المبهرة وبين عبادة الله. يستحيل التوفيق بين بذل العمر فى صنع هذه المدنية الرائعه والدنيا العريضه المزخرفه وبين عبادة الله. فهذه المدنية الحديثه ليست سوى صنم معبود أقامه المكر الشيطانى لصرف الانظار عن عبادة الله»(٣٠)

ثم يقول فى شماته «يالها من لحظة رائعه ان يترك الله أعداءه ليبنوا ويؤسسوا ويشيدوا ويرتعوا ويعدوا وينفقوا ثم يأيتهم من حيث لم يحتسبوا فيدمر عليهم ما بنوه وما شادوه، وبقدر بنيانهم يكون دمارهم، وياللحكمه الربانيه والكيد المتين»(٣١)

---

٢٩ - المرجع السابق

٣٠- المرجع السابق

٣١ - المرجع السابق.

.. ومن آثار التأسلم أيضا تسييس الدين، فى محاولة لاتخاذ الدين سلماً لتحقيق مآرب دنيويه وسياسيه وقد ضربنا فى ذلك أمثالا .. ونضرب أخرى.

كان معاويه يعد العدة لفرض البيعة لولده يزيد.. فكان أن ردد الحديث « الخلافه بعدى ثلاثون عاما وبعدها ملك عضوض» أحصى السنوات ثم أوقف زيداً بن المقفع فى مجلس لبيعة يزيد فقال «خليفة رسول الله هذا وأشار إلى معاويه. فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا وأشهر السيف فى وجوههم» .. إنه المُلك العضوض.

وكان الأمر فى بدايته ونهايته صراعاً سياسياً على السلطه بين (حزب) بنى هاشم، و(حزب) بنى أميه إتخذ له أو حاول، رداءً دينياً. فقط نتذكر ان يزيد أرسل جنده إلى المدينه حاضنه الرسول لاجبار سكانها على مبايعته بعد رفضوا، فهزمهم، وأباح المدينه لجنده ثلاثه أيام، وقيل أنهم آتوا الحرائر وإفتضوا بكارة ألف بكر من بنات المدينه، ورفض يزيد ان يقبل منهم بيعه المسلمين «نبايعك علي كتاب الله وسنه رسوله» فهذه بيعة مشروطه، بل طالبهم ببيعة العبيد «نبايعك» وكفى.. ففيم كان

ذلك كله؟ فيم كان كل هذا الحقد والتشفى؟

يزيد أجاب شعراً:

ليت أشياخى ببدر شهدوا

فزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا وإستهلوا فرحاً

ولقالوا ليزيد لا فشل

انه ثأر قديم. ثأر هزيمه ابى سفيان فى موقعة بدر. انه عقاب لسكان المدينه من الخزرج لأنهم وقفوا مع الرسول ضد بنى أميه. أرأيتم حقيقه الامر؟

ومن أبرز وقائع هذا الصراع السياسى كانت واقعه قيام المختار الثقفى هو وآلاف جمعهم من مريدى آل البيت ضد الدوله الأمويه والدوله الزبيرية رافعاً شعار إعاده الحكم لآل البيت، وإستخدم كل مالدى أهل الكوفه من ندم لخذلانهم علي وبنيه، معلنا انه يقاتل من أجل منح الخلافه لآخر من تبقى من أبناء على، محمد بن الحنفيه.

وارتفع نجم المختار الثقفى وهزم الامويين والزبيرين هزائم منكره.. وترامت أنباء دعوته للمدينه حيث يقيم محمد بن

الحنفيه، فشد رحاله هو وآل بيته إلى الكوفه كى يتم تنصيبه خليفه. لكن الأفاق المختار الثقفى كان يريدها لنفسه، وما كان آل البيت ومحمد بن الحنفيه سوى ستار لطموحه السياسى، فلما وجد نفسه فى المأزق وقف فى الجموع قائلا : إن للامام محمد بن الحنفيه علامة لا تخطئ هى انه إذا ضرب عنقه بالسيف لا يموت.. وفهم المسكين ابن الحنفيه الحيله.. وأفلت بنفسه، وهرب.

كذلك إعتاد الحكام ان يتخذوا الدين ستاراً لعسفهم وظلمهم.

أول الخلفاء العباسيين قال فى خطبة بيعته «الحمد لله والصلاة على رسوله الذى اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه، واختاره لنا، وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه، القُوَّام به، الزادين عنه، والناصرين له»

أما ثانى الخلفاء العباسيين فقد منح نفسه نفوذا وسلطانا أكبر وأعظم فقال فى مجلس بيعته «ايها الناس أنا سلطان الله فى ارضه، أسوسكم بتوفيقه ورشده»

ودوما وجد الحكام من يغطى إستبدادهم برداء دينى.. ونقرأ ما كتب أبو بكر الطرطوشى:

«الله سبحانه وتعالى جبل الخلق علي عدم الانصاف، فمتى

لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر، ولم يستقر لهم معاش، ومن الحكم التى وردت في إقامه السلطان، أنه بذاته من حجج الله علي وجوده سبحانه، ومن علاماته علي توحيده، العالم بأسره فى سلطان الله كالبلد الواحد فى يد سلطان الارض» ويقول «وإذا كان السلطان قاهراً للرعيبة كانت المنفعه به عامه، وكانت الدماء فى أهبها محقونه، والحرم فى خدورهن مصونه، والأسواق عامره والأموال محروسه»[٣٢]

انه درس للحاكم فى كيف يتخذ من الدين ستاراً لعسفه وظلمه.

والحقيقه ان أكثر من أرهقوا الدين والدينا وإرهقوا انفسهم بظلمهم لها هم وضاعوا الاحاديث، والرواه غير المدققين فقد وضعواأو قالوا بأحاديث عده إستخدمها البعض لتبرير ما لا يمكن تبريره.

ويروى لنا الطبرى طرفا من ذلك. ونتوقف أمام ما رواه كمثال علي عدم الدقه في روايه بعض من الاحاديث فتحدث عن

٣٢ - ابو بكر الطرطوشى - سراج الملوك - الباب السابع - ١٥٦

ابليس قائلا «حدثنا موسى بن هارون الهمدانى، قال حدثنا عمرو بن حماد، قال حدثنا أسباط عن السدى عن أبى مالك عن ابى صالح عن ابن عباس وعن أناس من أصحاب رسول الله «جعل إبليس على سماء الدنيا وكان من قبيله من الملائكه يقال لهم الجن، وانما سُموا الجن لأنهم خزان الجنه»[٣٣]

ثم.. «حدثنا ابن حميد قال: حدثنا مسلمه، قال: حدثنا المبارك بن مجاهد عن شريك بن أبى غر عن صالح مولى التوءمه عن بن عباس قال: «ان من الملائكه قبيلا يقال له الجن، فكان إبليس منهم، وكان يسوس ما بين السماء والارض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما»[٣٤]

ثم.. «حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عماره عن إبى روق، عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان إبليس من حى من أحياء الملائكه يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم، وكان إسمه الحارث، وأول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها

٣٣ - الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ص٨١
٣٤ - المرجع السابق - ص٨٢

وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضا، فبعث الله اليهم إبليس ومن معه في جند من الملائكه فقاتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك أغتر بنفسه وقال: قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد»

ثم.. «حدثني على بن الحسن قال حدثني ابو نصر احمد بن الخلال عن سنيد بن دواود، عن سعد بن مسعود قال: كانت الملائكه تقاتل الجن فسبى إبليس وكان صغيراً وكان مع الملائكه يتعبد معهم، فلما أمروا ان يسجدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس. فلذلك قال تعالى «إلا ابليس كان من الجن» [الكهف - ٥٠](٣٥)

ونحتار بين روايات متناقضه لكنها منسوبه جميعا للرسول ويقال انها منقوله عن شخص واحد هو إبن عباس.. تتملكنا حيرة يُسأل عنها يوم القيامة الوضاعون.. والرواة غير المدققين.

أما موضوع وجوب الخلافه ففيه قول كثير، قلنا ان البعض إستخدمه في الماضي لفرض سلطه سياسيه برداء ديني.. وكذلك يحاولون في عصرنا هذا..

---

٣٥ - المرجع السابق ص٨٤

يقول حسن البنا «ان الاخوان يعتقدون ان الخلافه رمز للوحده الاسلاميه، ومظهر الارتباط بين أمم الاسلام، وإنها شعيرة إسلاميه.. والخليفة هو الامام الذي هو واسطه العقد، ومجمع الشمل، ومهوى الافئده، وظل الله فى الارض»[٣٦] فقط نتأمل عبارة ظل الله في الارض.

ويتمادى الشيخ عمر عبد الرحمن في الأمر فيقول بضرورة «إعادة الخلافة علي النمط الوارد فى الكتب الشرعيه، بما فى ذلك السماح بإمارة المتغلب» ويقول: «ان حكم الخليفه هو محض إستنباط لحكم الله»[٣٧] فقط نتأمل .. إمارة المتغلب أى الذى يحكم بقوه السيف.. وحكمه محض إستنباط لحكم الله.

وتقول الجماعه الاسلاميه «الامامه فى الاسلام موضوعه لخلافه النبوه فى حراسه الدين، وسياسه الدنيا، والخليفه فى الاسلام مهمته وراثه النبوة بإقامه أحكامها، ويجمع بذلك أمرين: إقامه احكام الدين، وسياسه الدينا بالدين»[٣٨] انها

---

٣٦ - حسن البنا - رساله المؤتمر الخامس - دار الكتاب العربي - ص٤٨ - ٥٠

٣٧ عمر عبد الرحمن - كلمه حق - ص١٣٧

٣٨ - الجماعه الاسلاميه - حتمية المواجهه - ٦٣

سلطه السيفين التى أقامتها كنيسه القرون الوسطى.

فماذا لو رفضنا؟ وطالبنا بحقنا في الاعتراض علي هذا الفكر؟ أو على حكم أصدره هذا الامير؟

يجيب الشيخ عبد الرحمن البنا [والد حسن البنا]: «فإن الأمه أبت فضعوا فى يديها القيود، وأثقلوا ظهرها بالحديد، وجرعوها الدواء بالقوة، فالكثير من أبناء الامه فى آذانهم وقر، وفى عيونهم قذى، وفى قلوبهم مرض»[٣٩]

اما الابن حسن البنا فيرد علينا شعراً:

الدين شيئ والسياسة غيره

عوى نحاربها بكل سلاح

قد جاء طه عابداً ومجاهداً

دك الحصون وقصى كل جناح[٤٠]

أما سيد قطب فهو يعتبر ان كل مجتمعات العالم جاهليه

---

٣٩ - عبد الرحمن الساعاتى - استعدوا ياجنود (مقال) مجلة النذير - العدد الاول (١٩٣٦).

٤٠ - اسماعيل احمد الشافعى - الاخوان المسلمون دعوة البعث والانقاذ - مقتطفات من رسائل وخطب المرشد العام (حسن البنا)- ص٣

كافره «ان المجتمع الجاهلي هو كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده وبهذا التعريف تدخل فى أطار المجتمع الجاهلى جميع المجتمعات القائمه اليوم علي الارض»[٤١]

وهو يرفض«الوطن» كرابطه وكذلك الجنس والارض ويقول: «لا رابطة سوى العقيدة ولا قبول لرابطه الجنس والارض واللون واللغه والوطن والمصالح الارضيه والحدود الاقليميه.. انما هى أصنام يعبدونها من دون الله»[٤٢]

ويأتى تلاميذ قطب علي مثاله فعمر عبد الرحمن يقول عن الممتنعين عن القول بالخلافه «أيما طائفة ذات شوكه تمتنع عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهره الواجبه فانها تُقاتلَ عليها، وان كانت مقرة بوجوب ما إمتنعت عنه، وان كانت مسلمة تنطق بالشهادتين، ومن أعان هذه الطائفه قوتل كقتالها، ومن خرج فى صف هذه الجماعه مكرها قُتل أيضا ويبعث يوم القيامة علي نيته. وقتالها واجب إبتداءً، وإن لم تبدأ هى بالقتال .. يقاتلون

---

٤١ - سيد قطب - معالم فى الطريق - ص٩٨

٤٢ - المرجع السابق - ص٥٨

كقتال المرتدين، ولا يكف المسلمون عن قتالهم أو يقتلوا عن آخرهم»[٤٣]

بماذا نرد علي هذه الاقوال؟

بكلام للامام الآمدى « وإعلم ان الكلام فى الإمامه [الخلافة] ليس من أصول الديانات، ولا من الأمور اللابديات [من.. لابد اى من الضرورات الدينيه]. بحيث لا يسع المكلف الاعراض عنها والجهل بها. بل لعمرى ان المعرض عنها لأرجى حالا من الواغل فيها، فأنها لا تنفك عن التعصب والأهواء، وإثارة الفتن والشحناء، والرجم بالغيب فى حق الأئمه والسلف بالارزاء، وهذا مع كون الخائض فيها سالكا سُبل التحقيق، فكيف اذا كان خارجاً عن سواء الطريق؟ »[٤٤]

ونرد برأى آخر لمجموعه من الفقهاء أوردوه في كتاب بعنوان «الخلافه وسلطه الأمه».. «لو كانت الخلافة - كما يظن البعض

---

٤٣ - عمر عبد الرحمن - حكم الطائفه الممتنعه عن شريعة من شرائع الاسلام. [مذكره قدمت للمحكمة العسكريه فى قضية مقتل الرئيس السادات]

٤٤ الآمدى - غايه المرام فى علم الكلام - تحقيق حسن محمود عبد اللطيف - اصدار المجلس الاعلي للشئون الاسلاميه - القاهرة١٣٩١هـ - ١٩٧١م.ص٣٦٣

- من المسائل الدينيه الرئيسيه فإن الرسول الأكريم الذي لم يضن ببيان وصاياه بأبسط الفروع والآداب والعادات مثل تقليم الأظافر وإعفاء اللحى وأمثالها المتعلقه بصحة أبدان أمته.. لم يكن ليضن ببيان مسائل الخلافه. وفضلا هذا فإنها لو عدت من المسائل الدينيه الأصليه للزم حينئذ أن يكون دين الاسلام ناقصاً لم يكمل في زمن النبى لأنه لم ترد نصوص شرعيه بخصوصها في زمنه.. والآيه الكريمة تقول « اليوم أكملت لكم دينكم »، ومن ثم فإن ترك الحديث عنها يعنى انها ليست لازمه»[٤٥]

* * *

فإن تأملنا كل ما سبق نجد أن الاسلام أقصد صحيح الاسلام يحض على إعمال العقل، ولا يقر الدوله الدينيه ولا يقبل بالعوده وفقط إلي الماضى، ورفض التطلع إلى المستقبل.. بمعنى مختصر هو مع العلمانيه.. والعلمانيه بالقطع ليست نقيضا له. لكن الطرف الآخر لا يقبل بذلك ويصمم على ان العلمانيه مؤامره استعماريه كافره.

---

٤٥ - الخلافة وسلطة الامه - تأليف مجموعه من الفقهاء - ص٩٢.

فالدكتور محمد عماره يرى «ان العلمانيه تسللت الي مصر فى ركاب النفوذ الاجنبى والاستعمار الحديث وتسلل إليها قانون وضعى فى إطار المحاكم القنصليه ثم المحاكم المختلطه» ويقول: «لقد إستعان الغرب الاستعمارى بنفر من أبناء الاقليه المارونية الذين تربوا في مدارس الارساليات بلبنان فى الدعوه لنموذجه الحضارى العلمانى فكان فرح انطون أول دعاه العلمانيه فى بلادنا»[46]

وليس هذا صحيحا ففى إعتقادنا كان الشيخ رفاعه الطهطاوى هو أول العلمانيين المصريين.

العلمانيه المصريه

أقام محمد على بدايات دوله حديثه.. جهاز إدارى مدنى علي النمط الحديث. تعليم مدنى حديث مستقل عن الازهر. وأخضع الازهر لنفوذه، وجعل تعيين شيخ الأزهر من إختصاصه .. فأقام بذلك نموذجا علمانيا أوليا فصل فيه الدين عن الدوله، وفصل التعليم عن سلطه رجال الدين، وأقام جهازا مدنيا على

٤٦ - محمد عماره - مقال. مجله الهلال عدد ابريل ...

النمط الحديث..

ويأتى الشيخ رفاعه الطهطاوى كثمرة لهذا النموذج الحديث.

فهو الذى تولى عمليه إقامه نسق تعليمى حديث منفصل تماماً عن الازهر، وقائم على أساس المعارف الحديثه..

ويؤكد علي ذلك كتابة «لا تتوهم ان علماء الفرنسيس هم القسوس ، لأن القسوس إنما هم علماء فى الدين فقط، وأما من يطلق عليه إسم العالم فهو من له معرفه فى العلوم العقليه . والفرنسيس علماؤهم نوع آخر لتعلمهم علما تاماً فى عدة أمور، وإعتنائهم زيادة علي ذلك بنوع مخصوص منه، وكشفهم كثير من الأشياء، وتجديدهم فوائد غير مسبوقه بها »[٤٧]

بل هو يواجه شيوخ الازهر مطالباً إياهم بتعلم العلوم الحديثه « ان مدار سلوك جادة الرشاد والإصابه منوط بأولى الأمر بهذه العصابه التى ينبغى ان تضيف إلى ما يجب عليها من نشر الشريعه المنيفة، معرفه سائر المعارف البشرية المدنية التى لها مدخل فى تقديم الوطنيه لاسيما وان هذه العلوم الحكمية العلمية

---

٤٧ - رفاعه الطهطاوى - تخليص الابريز في تلخيص باريز - ص٢٠٨

التى يظهر الآن انها أجنبيه هى علوم إسلاميه نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية»[٤٨]

بل هو يدعو لتعليم النساء «ودخول المدارس للبنات والغلمان واجب قانونا فى جرمانيا وأوربا كلها.. وهذا هو السر فى أن بلادهم هى أقوى البلدان»[٤٩]

ويدعو الى حق المرأه فى العمل «فكل ما تطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه ان يشغل النساء عن البطاله فإن فراغ أيديهن من العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وإفتعال الاقاويل» ويؤكد «ان العمل يصون المرأه عما لا يليق بها ويقربها من الفضيله»[٥٠]

وهو يراهن علي تكوين رأى عام «فانه مما يحمل الملوك علي العدل، ويحاسبهم محاسبه معنويه الرأى العمومى أى رأى عموم أهل ممالكهم ..فإن الملوك يستحون من اللوم العمومى.. فالرأى

---

٤٨ - رفاعه الطهطاوى - مناهج الالباب المصريه فى مباهج الأداب العصريه - ص٣٧٣

٤٩ - رفاعه الطهطاوى - المرشد الامين للبنات والبنين - ٦٦

٥٠- تخليص الابريز - ص٢٠١

العمومى له سلطان قاهر علي قلوب الملوك والأكابر، لا يتساهل فى حكمه، ولا يهزل فى قضائه»[٥١]

و.. يدعو الى الجمهوريه «الملكيه اكثرهم من القسوس وأتباعهم.. واكثر الحريين [أى دعاه الحرية] من الفلاسفه والعلماء والحكماء وأغلب الرعيه، فالفرقة الاولى تحاول إعانه الملك.. والأخرى إضعافه وإعانه الرعيه، ومن الفرقه الثانيه طائفة عظيمه تريد ان يكون الحكم بالكليه للرعية ولا حاجة إلى ملك أصلا.. وتوكل الرعية من تختاره منها للحكم، وهذا هو حكم الجمهوريه»

.. إنها نفحات عقلانيه .. تدعو للتعليم الحديث وفصله عن سلطه رجال الدين، وإلى تحرير المرأه وتعليمها وحقها في العمل، فضلا عن جهد عملى في إقامه صرح مدرسة الالسن ومدرسه القصر العينى وتخريج مئات الطلاب الذي شغلوا كل مواقع السلم الادارى فى الجهاز الوظيفى للدوله الحديثه المبنيه على أساس فصل الدين عن الدوله.[٥٢]

---

٥١ - مناهج الالباب -ص٣٥٥

٥٢ - لمزيد من التفاصيل حول رفاعه الطهطاوى وتلاميذه فى بناء التعليم الحديث وجهاز الدوله الحديثه راجع : - صالح بك مجدى - حليه الزمن فى سيره خادم الوطن رفاعه بك رافع - على باشا مبارك - الخلط التوفيقيه.

وكانت هذه مجرد بدايات لرحله علمانيه صاخبه يقودها شيخ آخر هو الاستاذ الامام محمد عبده.

«المسلم الحق هو الذى يعتمد على العقل فى شئون الدنيا»[٥٣] هكذا صاح محمد عبده فى وجوه الجميع. ويقول أيضا: «إذا تعارض العقل والنقل، أخذ بما يدل عليه العقل، ولكل مسلم أن يفهم عن الله عن كتاب الله ومن كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا من خلف»[٥٤]

وقد خاض الشيخ محمد عبده معركه ضارية من أجل تطوير التعليم الازهرى.. ومن أجل تعليم مدنى منفصل عن الأزهر.. يقول الشيخ محمد رشيد رضا [والعهده علي الراوى] ان «الشيخ محمد عبده كان شديد الاحتقار للأزهر ذلك الزمان وكان يسميه «المخروب» والمارستان»[٥٥]

وعندما عارض شيوخ الازهر التقليديين دعوة الشيخ محمد عبده لادخال العلوم الحديثة فى رحابه شن عليهم هجوماً عنيفا

٥٣ - محمد رشيد رضا - تاريخ الاستاذ الامام -جـ١ -ص١١

٥٤ - الامام محمد عبده - الاعمال الكامله - جـ ٣ -ص٢٨٢.

٥٥ - محمد رشيد رضا - تاريخ الاستاذ الامام -جـ١ ص٤٩٥ مطبعه المنار - (١٩٣٠)

قال فيـه «طلب العلم فريضه علي كل مسلم ومسلمه وهو خطاب تكليفى موجه إلى الرجل والمرأه علي السواء ولكن المسلم ضلّ فيما بعد عن معنى العلم فظن أن الغايه منه ما يفرضه الدين من معرفه فرائض الوضوء والصلاة والصوم، وضرب بين النساء والعلم حجاباً لا ندرى متى يرفع، وحشيت أذهانهن بالخرافات والأوهام، كما أخطأ المسلم فى فهم ما ورد فى دينه من ان المسلمين خير أمة أُخرجت للناس، وان القوة والعزة مقرونتان بدينه أبد الدهر، فظن ان الخير ملازم لعنوان المسلم، فإن أصابته مصيبة، أو حلت به رزية تسلى بالقضاء يأتى به الغيب بدون ان يتخذ وسيله لدفع الطارئ أو ينهض الى العمل لتلافى ما عرض من خلل»[٥٦]

وتتصاعد الحملات المتبادله بين الاستاذ الامام [كما يسميه المصريون] وبين شيوخ الازهر التقليديين، وتزداد اشتعالا عندما يجد الازهريون أن كبير مشايخ العصر [محمد عبده] يدعو بحماس وبعد أن يئس من تطوير التعليم الازهرى وتلقيحه

---

٥٦ - الامام محمد عبده - الاسلام دين العلم والمدينه-ص٢٥

بالعلوم الحديثه الي إقامه «الجامعه الاهليه» ويحث المصريين علي التبرع لها. ويورد د. محمد عماره [والعهدة على الراوى] الحوار التالى بين الشيخ محمد عبده والشيخ محمد البحيرى عضو مجلس إداره الازهر حول تدريس العلوم الحديثة..

- «الشيخ البحيرى: إننا نعلم طلاب الازهر كما تعلمنا.

- الشيخ محمد عبده: وهذا ما أخاف منه.

- الشيخ البحيرى: ألم تتعلم أنت فى الازهر وقد بلغت ما بلغت من مراقى العلم، وصرت فيه العلم الفرد ؟

- الشيخ محمد عبده: إن كان لى حظ من العلم الصحيح الذى تذكر، فإنى لم أحصله الا بعد ان مكثت عشر سنين أكنس من دماغى ما علق فيه من «وساخة» الازهر، وهو الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة»(٥٧)

وظل محمد عبده على موقفه من شيوخ الازهر التقليديين حتى آخر نسمات حياته.. وحتى وهو فى فراش الموت قال شعراً:

---

٥٧ - الامام محمد عبده - الاعمال الكامله - تحقيق د. محمدعماره - المؤسسه العربيه للدراسات والنشر - بيروت . (١٩٧٥) ص١٧٨

ولست أبالى ان يقال محمدُ أبل

أم اكتظت عليه المآتم

ولكنه دين أردت صلاحه

أحاذر ان تقضى عليه العمائم.

أما عن «فصل الدين عن الدوله» فقد كان الشيخ محمد عبده واضحاً حاسماً: «ليس فى الاسلام سلطه دينيه سوى سلطه الموعظه الحسنه والدعوه إلي الخير، والتنفير من الشر، وهى سلطه خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم، كما خولها لاعلاهم يتناول بها أدناهم»(٥٨)

وهو يعطى السلطه للأمه .. دون منازع «الامه هى صاحبة الحق فى السيطرة على الحاكم، وهى التى تخلعه متى رأت أن ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدنى من جميع الوجوه، ولا يجوز لصحيح النظر ان يخلط «الخليفه» عند المسلمين بما يسميه الافرنج «ثيوكراتيك» أى سلطان إلهى» .. «فالاسلام لا يجعل للقاضى او المفتى او لشيخ الاسلام أدنى سلطه على العقائد

---

٥٨ - الشيخ محمد رشيد رضا - تاريخ الاستاذ الامام - (المرجع السابق) ص١٥

وتقرير الاحكام، وكل سلطه تناولها واحد من هؤلاء هى سلطه مدنيه، ولا يسمح لواحد منهم ان يدّعى حق السيطرة على إيمان أحد، أو عبادته لربه، أو أن ينازعه فى طريقة نظره. اما الفكرة الشائعه عن توحيد الاسلام بين السلطتين المدنيه والدينيه فهى خطأ محض ودخيلة على الاسلام، وهى فى الاساس أصل من أصول الديانه المسيحيه فى أصولها الكاثولكيه البابويه، ومن الضلال القول بأن الاسلام يحتم قرن السلطتين فى شخص واحد، والزعم تبعا لذلك بأن السلطان هو مقرر الدين، وواضع أحكامه ومنفذها، وأن المسلم مستعبد بدينه لسلطات السلطان»

بهذا كرس الشيخ محمد عبده او كما يصمم المصريون علي تسميته «الاستاذالامام» علمانية واضحة وصريحة، لا يمكن التشكيك فيها..

ويمكن القول أن الاستاذ الامام قد منح العلمانية المصريه أقوى دفعه نالتها فى بدايات القرن العشرين.. يقول احد الباحثين « لقد اعطى الشيخ محمد عبده تشجيعا كبيرا للعلمانين ومنطلقاتهم الفكريه، بل انهم إعتمدوا على الكثير من آرائه لدعم اتجاهاتهم وحركتهم فى مجتمع مشبع بالقيم

والتقاليد الدينيه الراسخه، فماذا يطلب العلمانيون اكثر من رأيه فى السلطتين الزمنيه والدينيه ونظرته الي العقل ودوره في تنظيم شئون الحياة والمجتمع، ورأيه في المرأه، وفى كثير من المسائل الماليه والاجتماعيه»[٥٩]

ويبقي بعد ذلك ان نورد عده موقف واضحه لرجال دين آخرين يقفون وبصلابه مع العلمانيه بإعتبار انها المخرج لمصر من وهدة التخلف، والاهم من هذا بإعتبار انها لا تتناقض بحال من الاحوال مع الاسلام.

الشيخ طنطاوى الجوهرى كتب فى عام ١٩١٠ معلقاً علي الحمله التى تعالت أصواتها معارضه لطبع كتب عن نظرية داروين فى مصر.. يقول «ان نظرية أصل الانواع وآداء داروين عن التطور لا تتنافى مع تعاليم الاسلام، وان علي المسلمين تعلُم التشريح والطبيعيات والكيمياء والعلوم العصرية ودراسة النبات والحيوان والانسان التى هى اسمى مظهر لعبادة الله، وهى أشرف

---

٥٩ - د. محمد كامل ضاهر - الصراع بين التيارين الدينى والعلمانى فى الفكر العربى الحديث - ص٩١

عطاء، وهى أشرف من صلاه زائده أو إحسان إلى مسكين» إلى هذه الدرجه من الحماس للعلم الحديث دافع الشيخ عن نظريه داورين..

وشيخ آخر.. الشيخ عبد الرحمن الكواكبى يقول: «ان الامم الحية ما أخذت فى الترقى الا بعد ان عزلت شئون الدين عن شئون الحياه وجعلت الدين أمراً وجدانياً محضاً لا علاقة له بشئون الحياة الجارية علي نواميس الطبيعة»[٦٠]

ونواصل مع شيوخ مستنيرين و.. علمانين.. الشيخ على عبد الرازق يقول « فشعائر الله تعالى ومظاهر دينه الكريم لا تتوقف علي ذلك النوع من الحكومه الذى يسميه الفقهاء خلافه ولا علي أولئك الذين يسميهم الناس خلفاء، والواقع ان صلاح المسلمين فى دنياهم لا يتوقف على شئ من ذلك، فليس من حاجة إلى تلك الخلافه فى أمور ديننا، ولا أمور دنيانا، ولو شئنا لقلنا اكثر من ذلك، فإنما كانت الخلافه، ولم تزل نكبه علي الاسلام والمسلمين وينبوع شر وفساد»[٦١]

---

٦٠ - الشيخ عبد الرحمن الكواكبى - ام القرى - ص١٨٣
٦١ - الشيخ على عبد الرازق - الاسلام وأصول الحكم - ص٣٦

.. هل من مزيد؟ نعم. تبقى إشارة من الشيخ محمد الغزالى،ونقرأ «ان القرآن الكريم خطاب الزمن كله، حتى يرث الله الارض وما عليها، خطاب الأجيال والناس والعلماء والمستويات الحضارية المتفاوته، ولا يمكن منطقيا بأى حال من الاحوال ان نجمده عند فهم عصر معين»(٦٢)

فهل يمكن الآن - وبعد كل ذلك - ان نستمع الى قول يقف بالعلمانيه فى مواجهه الدين؟

* * *

وتحتاج هذه الكتابه كى تبدو متكامله ان تورد ولو على سبيل الاستدلال المتعجل بعض كتابات علمانيه لمثقفين عصريين أى غير أزهريين.

ونبدأ بعبد القادر حمزه .. الذي كتب فى ١٩٠٤ قائلا «لابد من الخروج من وهدة الإستسلام لماضينا إذا كنا نريد ألا نظل ضعفاء وجهلاء كما هو الحال الآن، وكما كان سالفاً. ان القرآن لا يتضمن سوى قوانين عامه لكافة الناس، وإن لكل أمة حق

٦٢- الشيخ محمد الغزالى - كيف نتعامل مع القرآن - دار الوفاء -(١٩٩٥) ص١٦٤

التصرف إنطلاقا من الحكمة المتضمنة فى هذه القوانين، وان تختار ما يتماشي مع الزمان والمكان دون أن تقيد العقل بأى قيد سوى البقاء فى حدود الايمان»[٦٣]

ثم هو يهاجم كل من يقحم الدين فى شئون الحياة نزلفاً إلى العامة « الذين إستولى عليهم هوس دينى يدل على مدى تسلط الدين ورجاله على عقولنا، وإنخداع أفهامنا إنخداعاً لا مثيل له بكل ما يأتى من جانب رجال الدين، بل يدل على إستسلامنا إستسلاماً أعمى إلى ماضينا الذى يجب ان نبتعد عنه كل الابتعاذ ان كنا نريد الا نبقى كما نحن، وكما كنا، جهلاء وضعفاء»[٦٤]

وقبل ان ننتقل الى قاسم أمين نشير الى ان البعض يحلو له أن يهمس فى آذن التاريخ بأن قاسم امين كان مجرد ستار للشيخ محمد عبده وإن كتابى قاسم أمين تحرير المرأه والمرأه الجديده هما أصلا للشيخ محمد عبده.. ولعل مطالعتنا للفقرات التاليه تؤكد لنا تميز قاسم أمين بشكل كامل عن أفكار صديقه وربما أستاذه الشيخ محمد عبده.

---

٦٣ - عبد القادر حمزه - مقال- المقتطف مارس ١٩٠٤.

٦٤ - المرجع السابق.

ونقـرأ لقـاسم امين: « يجب علينا ان نلتـفت الي التـمـدن الاسلامى القديم ونرجع إليه، ولكن لا لننسخ منه صورة ونحتذى مثـال مـا كـان فيـه سواء بسـواء، بل كـى نزن ذلك التمدن بميزان العـقل .. ونتدبر فى أسـبـاب إرتقـاء الامـه الاسـلامـيـه وأسـبـاب إنحطاطهـا، ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا ان تنقيم عليـهـا بناءً ننتفع به اليـوم وفيـما نستقبل من أيام. ان تمسكنا بالماضى هو من الاهواء التى يجب ان ننهض جميعا لمحاربتها لأنه ميل يجرنا إلى التدنى والتقهقر، ولا يوجد سبب فى بقاء هذا الميل فى نفـوسنا الا شعورنا بأننا ضعـاف عـاجزون عـن إنشاء حـاله خاصه بنا تليق بزماننا ويمكن ان تستقيم بها مصالحنا، وكأن كل منـا ينـاجى نفـسـه قـائلا لهـا: إتركى الفكر والعـمل والعناء وإستريحى فليس بالامكان ان نأتى بأبدع مما كـان. هذا هو الداء الذى يلزم علينا عـلاجه، وليس له من دواء الا أن نربى أولادنا على ان يعرفوا شئون المدينه الغربيـة ويقفوا على أصلها وفرعها وآثارها »[٦٥]

---

٦٥ - قاسم أمين - الاعمال الكامله - جـ٢ ص٢٠٤

.. ومره أخرى يثبت قاسم أمين علمانيته فيقول «اما من جهة النظامات السياسية فإننا مهما دققنا البحث في التاريخ الاسلامى لا نجد عند اهل تلك العصور ما يستحق ان يسمى نظاما فإن شكل حكومتهم كان عبارة عن خليفه او سلطان غير مقيد، يحكم موظفين غير مقيدين.. ربما يقال ان هذا الخليفه كان يولى بعد أن يبايعه أفراد الامه، وان هذا يدل على ان سلطته مستمده من الشعب الذي صاحب الامر. ونحن لا ننكر هذا، ولكن هذه السلطه التى لا يتمتنع بها الشعب الا بضع دقائق هى سلطه لقيطة، اما فى الحقيقه فإن السلطان هو وحده صاحب الأمر»(٦٦)

ثم.. هناك عشرات وعشرات من كتاب ومفكرين وعلماء ومثقفين ورجال دين خاضوا ذات المعركه مدافعين عن العقل والعلم.. والاستناره ، رافضين دعاه التأسلم ومتمسكين فى آن بدينهم.

ولكن.. هل نختتم هذه الاقتباسات بكلمه لمحمود امين العالم..؟ « ان العلمانيه لا تتناقض تناقضاً إستعبادياً مع الدين،

٦٦- قاسم أمين - المرأه الجديده - ص١٨.

بل لعلها تكون أساساً للتجديد الدينى لانها إذ تفرض علينا إعمال العقل إزاء كل الظواهر، وإزاء مستجدات الحياة المتجددة دوماً فانها تفتح الباب أمام النظر العقلى فى علاقات الدين بالحياة، وفي تجديد الفهم الانسانى للدين وفق تجدد معطيات الحياه. كذلك فإن الرؤيه المعرفيه العقلانيه هى بذاتها قيمة روحية من أبرز القيم الانسانيه، ولهذا فهى تتناقض بالضرورة مع أسلمه العلوم والمعارف التى تؤدى إلى تقويض العلم من ناحية، وتشويه الدين من ناحية أخرى. تشويهه بالنظر إليه عبر النقل.. وليس عبر العقل». ويمضى العالم قائل: «خلاصه الامر ان الخلاف ليس خلافاً بين العلمانيه والدين، أو بين العلمانيه والايمان ، إذ انه من الممكن أن يتعايشا ، وان يتفاعلا وان يتعاونا ، وانما الخلاف هو فى واقع الامر بين العلمانية من ناحية والفهم الأصولى للدين والفكر الدينى المتعصب الذى يتسم بالجمود ، والنصية الحرفية واللاتاريخية والاطلاقيه، والنزعه الاستعلائية الاقصائية من ناحية أخرى»[٦٧].

وبهذا إكتفى..

---

٦٧ - محمود أمين العالم - الاصوليات الاسلاميه فى عصرنا الراهن - دراسة - قضايا فكريه - اكتوبر ١٩٩٣.

سؤال وليس خاتمة

ويبقى بعد ذلك سؤال محير بقدر ما هو مرير ماذا ينقصنا كى نلحق بركب العصر..؟

كى ننطلق فى موكب العقل والتقدم.. والدين الصحيح والعلمانيه..؟

ماذا ينقصنا كى نقصى الغوغائيه، والزيف، والخيالات المصنوعه، التى يصنعها البعض مدعين انها صحيح الدين ثم لا يلبثون ان يصدقوها.. أو يفرضون علينا تصديقها كهؤلاء الذين كانوا يصنعون أصناما بأيديهم ثم يعبدونها ويخشونها..؟

ماذا ينقصنا كى نصبح بشراً أسوياء قادرين على التعامل مع العلم الحديث.. ومع العصر الحديث الذى تتلاحق منجزاته فيقفز بعيداً بعيداً ، بينما نحن نتراجع بعيداً بعيداً..؟

ينقصنا ثلاث ثورات:

- ثورة اصلاح الفكر الدينى
- ثوره اصلاح فكرى تحترم العقل وتعلى من شأنه
- ثورة اصلاح سياسى تقر الديمقراطية وحرية الرأى وحريه الابداع

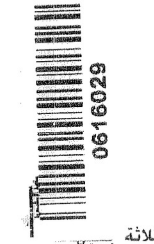
فهل هذا مستحيل؟

هو صعب لكنه ليس مستحيلا لسبب بسيط هو أنه لا أمل لنا فى أى تقدم بدونه..

او هذا ما أعتقد.

رقم الإيداع : ٩٩٨٥ / ٢٠٠٠

شركة الأمل للطباعة والنشر
(اخوان مورافيتلى سابقا)
ت : ٣٩٠٤٠٩٦


0616029
ثلاثة